الحرف والتعدين :

لقد ازدهرت الحرف في أوجاريت ازدهاراً كبيراً . فمن خلال التنقيات الأثرية وجدت مجموعة كبيرة من اللقى الفخارية التي تغطي فترات تاريخية طويلة تبدأ منذ الألف السادس ق.م على الأقل . ومع دخول منطقة المشرق العربي القديم عصر البرونز تبدأ بالظهور في أوجاريت مصنوعات برونزية مختلفة : فؤوس ، خناجر ، نهايات رماح ، وكذلك مجوهرات للزينة (أساور ، أقراط ، أطواق) . كما استخدم سكان أوجاريت في هذا العصر المصنوعات النحاسية الصرفة . وعندما بدأت الوثائق بالحديث بدأت بذكر حرفيين من مختلف الاختصاصات منهم : الخزاف والحجار والسباك والبناء والخباز والنساج والدباغ . ومع ازدياد النشاط التجاري البحري لسكان أوجاريت ازدهرت صناعة المراكب البحرية . ويبدو أن الدولة في أوجاريت كانت توزع على الحرفيين المواد الأولية وكانوا هم يقومون بتصنيعها ويقدمون لقاء ذلك جزءاً من منتجاتهم لصالح خزينة الدولة ، ونشير هنا الى الكشف الهام الذي تم في عام ١٩٤٩ وشمل أربعاً وسبعين أداة برونزية وجدت في بيت كبير الكهنة منها سيوف ونهايات رماح وسهام ومعاول وفؤوس ومناجل وحملت بعض الفؤوس والمعاول كتابات : rl Khna « الكاهن الأعلى » hrsn - rb khnm « معول الكاهن الأعلى » ، الأمر الذي يدل على أن هذه الأدوات كانت مخصصة لإقامة شعائر وطقوس العبادة . وأخيراً نشير الى الكشف الهام الذي تحقق في موقع رأس ابن هانيء والذي كان جزءاً من ممتلكات مملكة أوجاريت وهو عبارة عن منشأة مخصصة لإنتاج السبائك النحاسية ، مما يشير الى أهمية صناعة التعدين في حياة أوجاريت .

التجارة :

لعبت التجارة دوراً على غاية من الأهمية في حياة أوجاريت . وكانت هذه التجارة بحرية بالدرجة الأولى مع مصر وقبرص وبلدان بحر إيجة . وبرية بالدرجة الثانية بخاصة مع داخل سورية وصولاً منها الى بلاد الرافدين . وأما أهم صادراتها فكانت بلاشك الزيوت (زيت الزيتون) والخمور اضافة الى الأخشاب

والموبيليا الخشبية . وأما واردتها فكانت المواد الكمالية بشكل أساسي من الأحجار الثمينة والأوعية والحلي الخزفية والذهب المصنع وكانت هذه المواد تأتي من مصر وجزر بحر إيجه وسورية الداخلية .

إن الصلات بين أوجاريت وبلدان بحر إيجه تعود الى بداية الألف الثاني ق.م على الأقل . حيث عثر في مقابر العصر البرونز الوسيط في أوجاريت على كسرات أصص تحمل الأسلوب الكامارسي ، وكوب مزخرف بزخرفة متعرجة ومزين برسومات لنباتات ذات ألوان حمراء وبيضاء على خلفية بنية اللون . ويعتقد شيفر أنه يمكن إعادة تاريخ المواد التي اكتشفت في الطبقة الأوجاريتية الثانية الى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد . ففي هذا الوقت تقريباً ظهرت في أوجاريت فخاريات تعد تقليداً لفخاريات جزيرة كريت التي تعود الى العصر المينوي الوسيط . وبناء على مختلف اللقى الكريتية والميكينية التي عثر عليها في أوجاريت ، ظهر تساؤل حول هذه اللقى . هل وصلت الى أوجاريت عن طريق المبادلات التجارية فقط ؟ أم هل تعود لجالية كريتية كانت تعيش في أوجاريت . ويعتقد شيفر أن الاحتمال الثاني هو الأرجح انطلاقاً من التشابه بين بعض مقابر أوجاريت والمقابر الكريتية .

وبين اللقى الأثرية التي عثر عليها في أوجاريت ، توجد مجموعة من السيوف القصيرة أو الخناجر يرجع تاريخها الى القرنين السادس عشر والخامس عشر ق.م وهذه اللقى شبيهة باللقى الميكينية من حيث زخرفتها وتزييناتها .

وأما عن العلاقات مع مصر فهناك دلائل عليها تعود الى مطلع الألف الثاني ق.م أيضاً فقد وجد في أوجاريت وفي مكان ليس بعيد عن معبد داجان ، عقد من التمائم يحمل رأساً (رأس الملك المصري سنوسرت الأول ١٩٧١ – ١٩٢٨ ق.م) . وقرب مدخل معبد بعل وجد تمثالان لأبي الهول يحملان رسماً لرأس امنحوتيب الثالث . ووجدت هنا أيضاً مجموعة كبيرة من المنحوتات المستوردة من مصر منها منحوتة سنوسرت – أنحا وزوجته وحماته . ويعتقد شيفر أن سنوسرت هذا كان سفيراً لمصر لدى ملك أوجاريت . وفي أحد البيوت السكنية التي تقع الى الشرق من القصر

الملكي وجد بين المصنوعات البرونزية الأخرى سيف يحمل رسم مرنبتاح . وإبان الحفريات التي جرت في العام ١٩٧٣ اكتشف بالقرب من القصر الملكي الكبير بيت تعود ملكيته الى شخص مصري أقام في أوجاريت إقامة دائمة استمرت عشرات السنين ، أي الفترة التي سبقت انهيار القصر الكبير في القرن الثالث عشر ق.م . وكان من الموجودات هنا قطع من اصص وأكواب وغيرها من المصنوعات المصرية .

وتوجد دلائل كثيرة على وجود تجار من بلاد الرافدين بمختلف مناطقها ومن آسيا الصغرى في أوجاريت من مثل الوثيقة PRU,11,89 والتي تتحدث عن توزيع الخمور من مستودعات القصر وكان من بين من حصلوا عليه : آشوريين ومصريين وغيرهم .

وبحوزتنا مجموعة من الوثائق التي تعطينا فكرة عن التجارة الداخلية في أوجاريت فمثلاً هناك وثيقة تسجل عملية بيع ألبسة : « لباس واحد بقيمة ١٠ واثنان بقيمة ٥ وسابارتو بقيمة ٣ وصنادل بقيمة ٦ ولباسان بقيمة ١٠ وبالدو بقيمة ٤ ولباسان بقيمة ١٨ » . وهذه الأسعار كلها بوزنات الفضة . والوثيقة PRU,11,156 تمثل صديقاً لصفقة تجارية « في اليوم الجديد من الشهر ، في شهر بغروم، اشترى بعل ماجار وبن خالالبو mihd بقيمة أربعمائة وزنة من الذهب » . والوثيقة PRU,111,16,180 تسجل بيع حصان الى ملك أوجاريت بقيمة مائتي وزنة من الفضة . وكان البائع هو بيلازا خوبو راتانوري ملك كركميش .

وكان الملك والقصر يمثلان مؤسسة تجارية تمارس نشاطات مختلفة في هذا المجال ، سواء أكانت هذه النشاطات داخلية أم خارجية . فمثلاً الوثيقة PRU,111,15.43 والتي وصلنا بعض مقاطعها ، تنقل لنا معلومات عن إعطاء برونز من القصر الى أبيا بن خارامو وإعطائه أيضاً أقمشة وأحجار كريمة . لكن الغرض من تسليم هذه السلع غير واضح ولكن ربما كان بغرض المتاجرة بها . والوثيقة PRU,Y,100 تشمل لائحة لعدد من العمليات التجارية التي قام بها القصر الملكي . يقول النص : « سلسلة ذهبية وزنها عشر وزنات ثقيلة بقيمة أربعين وزنة من الفضة بيد عبد بامو . ثلاثة ككيارات من الصوف ست عشر وزنة من الفضة . خمس

وزنات من الذهب لبيت إيلو بقيمة خمس عشرة وزنة من الفضة . خمس مائة وزنة من العقيق بقيمة عشر وزنات وكامساك ... الخ » .

وأما الوثيقة PRU,Y,106 فربما تشير الى قيام ملك أوجاريت بشراء سفن من ملك جبيل . طبعاً لم يكن الملك يقوم بهذه النشاطات التجارية بنفسه بل كان يقوم بها أشخاص تابعون له وفي بعض الأحيان كان الملك يقوم بتسليم هؤلاء الأشخاص مبلغاً معيناً للقيام بعمليات تجارية . وفي أحيان أخرى كان الملك (القصر الملكي) يسلم هؤلاء سلعاً للمتاجرة بها . ويبدو أنه كانت لملكة أوجاريت تجارة خاصة بها ، حيث يرد في احدى الوثائق أن « أبالا » جابي الضرائب في كركميش رفع دعوى ضد بوشكو ، التاجر التابع لملكة أوجاريت رفعها الى ابن الملك . وقد اتهم أبالا ، بوشكو بأنه مدين بثلاثمائه وزنة من الفضة يرفض الاعتراف بها . لكن الوثيقة تؤكد أن الحكم الذي صدر بشأن هذه القضية أعلن بوشكو « نظيفاً » ورفض مطالب أبالا .

ومن أجل تنظيم أمور التجارة الخارجية وحماية حقوق التجار الأجانب في أوجاريت وحقوق التجار الأوجاريتيين في الخارج ، فقد عقد ملوك أوجاريت عدة معاهدات مع حكام الدول المجاورة لتحقيق هذه الغاية . وقد وصلتنا احدى هذه الاتفاقيات وهي الموقعة بين اميشترو الثاني (منتصف القرن الثالث عشر ق.م) وإينيشتوب ملك كركميش . وقد نصت هذه الاتفاقية على بعض النقاط نعرض لأهمها « إذا ما قتل التجار الذين يمولهم ملك أوجاريت في كركميش فليلق القبض على قاتليهم وليدفع سكان كركميش تعويضاً عن أملاكهم وأشيائهم كاملة . فليدفعوا ثلاث وزنات من الفضة ثمناً لكل شخص مقتول . ليؤدي سكان أوجاريت القسم بصدد ملكية هؤلاء ، بصدد أشياءهم . وإذا وجدوا جثث هؤلاء ولم يجدوا قاتليهم فينبغي على سكان كركميش أن يأتوا الى أوجاريت ويقسموا على أنهم لا يعرفون القتلة وأن أشياء هؤلاء الحرفيين وما يملكون قد فقدت . وينبغي على سكان كركميش أن يدفعوا ثلاث وزنات من الفضة مقابل كل شخص مقتول . وإذا ما قتل تجار ملك كركميش في أوجاريت فينبغي على سكان أوجاريت أن

يلقوا القبض على القتلة وأن يدفعوا ثلاث وزنات من الفضة لقاء كل شخص مقتول ولقاء أشيائه وملكيته . وإذا لم يلق القبض على القتلة فيجب على سكان أوجاريت أن يأتوا الى نوبانو أو الى غوراتو ويقسموا أمام اخوتهم التجار أنهم لا يعرفون القتلة وأن أشياءهم وأملاكهم قد فقدت . وعندها ينبغي على سكان أوجاريت أن يدفعوا ثلاث وزنات من الفضة بدلاً عن كل شخص مقتول » .

وهناك وثيقة أخرى تضبط نظام دفع دية التاجر الغريب المقتول . تعلن هذه الوثيقة « لقد عقد إينيشتوب ملك كركميش هذا الاتفاق مع ناس أوجاريت . إذا ما قتل شخص من كركميش في أوجاريت ووجدوا القاتل فسوف يدفعون دية القتيل ثلاثة أضعاف وثلاثة أضعاف ثمن أشياءه المفقودة عليهم أن يدفعوا . وإذا لم يجدوا القاتل فسوف يدفعون ثلاثة أضعاف دية القتيل والمبلغ الأساسي من ثمن أشياءه المفقودة سوف يدفعون . وإذا قتل أوجاريتي في كركميش فالتعويضات تدفع نفسها »(١٦) .

الحياة الاجتماعية :

كان المجتمع الأوجاريتي ، مثله في ذلك كباقي المجتمعات القديمة ، مقسماً الى فئتين أساسيتين هما الأحرار والعبيد . والأحرار هم السكان الأصليون والذين يملكون أراضي زراعية أو يقومون بممارسة الحرف . طبعاً بالاضافة الى الأسرة المالكة وكبار رجال الدولة . وكان ضمن هذه الفئة أناس يطلق عليهم « أناس الملك » وقد دخل ضمن هذه الفئة العاملون في المشاريع الملكية المختلفة وخصوصاً من التجار . وقد دخل بعض الأجانب المقيمين في أوجاريت ضمن هؤلاء .

وأما العبيد فقد أطلق عليهم في الوثائق المكتوبة بالأوجاريتية تسمية ’bd ولم يكن جميع العبيد على المستوى نفسه . فمن خلال الوثائق نرى مجموعة منهم تشكل مجرد ملكية خاصة لسادتهم يباعون ويشرون سواءً بشكل انفرادي أو

(١٦) شيفمان مجتمع اوجاريت ترجمة حسان ميخائيل اسحق ص ٩٠ وما بعدها.

أو جماعي وفي بعض الأحيان مع الاماكن التي يعملون فيها (حقول ، ورشات ، الخ) . فهناك مثلا الوثيقة PRU,1y,17.231 تنص على ما يلي « من هذا اليوم وأمام الشهود اشترت ملكة أوجاريت عبدها ، وهو من أبناء بلادها واسمه أورينيشوب من بيت طبرامو خصي القصر وحازت عليه لقاء سبعين وزنه من الفضة ..» وهناك نص آخر يشير الى أن « تاغيشا روما وتوليبشا روما ولدا خاشتانورا باعا المدعو تاريازيدو الى شخص يدعى عوزينو ساكينو أوجاريت بأربعين وزنه من الفضة » . والوثيقة ، « Ugaritica y التي وصلتنا من أرشيف راشا بابو تقول إن هذا الاخير وزوجته بيدا اشتريا اربع أقات حقل من بستان زيتون وملاك العبيد العامل فيها والأشجار القائمة في منطقة ساعو من ريايمانو بن خزاحو ، بمبلغ قدره أربع مائة وزنه من الفضة . والى جانب هؤلاء العبيد ، كان هناك نوع آخر من العبيد الذين نلحظ من خلال الوثائق قيامهم بنشاطات اقتصادية متنوعة بخاصة التجارة وبعض هؤلاء العبيد يوصفون بأنهم عبيد الملك . وكان بامكان هؤلاء أن يشتروا أو يمتلكوا عبيداً خاصين بهم .

وما للعبيد من أهمية في حياة المجتمعات القديمة ومنها أوجاريت، وما كان يمكن أن يسببه فرارهم من مشكلات ، فقد وقع ملوك أوجاريت عدداً من الاتفاقيات مع حكام الدول المجاورة نص بعضها على إعادة العبد الفار الى المكان الذي فر منه . ويفيدنا في هذا المجال المرسوم الذي أصدره الملك الحثي خاتوشيلي الثالث المتعلق بهذا الخصوص . يقول المرسوم « خاتم تابارنا ، خاتوشيلي الملك العظيم . إذا عصا عبد ملك أوجاريت، أو أي أوجاريتي ، أو عبد عبد اوجاريت وأتى الى اقليم خابيرو الشمس . فانني أنا الملك العظيم لا أقبله وأعيده الى ملك أوجاريت . إذا اشترى الاوجاريتيون غريباً بأموالهم ، وهرب من أوجاريت الى أوساط خابيرو ، فانني أنا الملك العظيم لا أقبله وسوف أعيده الى ملك أوجاريت »(١٧) . وتوجد وثيقة أخرى هي رسالة موجهة من ~~نقمبك~~ ملك ألالاخ الى ~~ايبي~~ ملك أوجاريت من المحتمل أن تاريخها يعود الى القرن الخامس عشر ق.م ، تروي الوثيقة أن أحد العبيد قد هرب من ألالاخ ومعه ثلاثة جياد ، ويطلب المرسل من ملك أوجاريت أن يعيد الهارب اليه في ألالاخ في حال ظهوره على أراضي أوجاريت .

(١٧) شيفمان : مجتمع اوجاريت ترجمة حسان اسحق ص ١٠٩ .

وكان بامكان العبد أن يتحرر من عبوديته اذا شاء سيده . فهناك وثيقة تفيد عن تقسيم أملاك احدى العائلات : فعبدو يعطي بيته القائم في ماخسيسو وباقي أرزاقه الى ولده إيلي ميلكو ويفصله عن ولده الآخر عزيرو . أضف الى ذلك أنه يعلن عن تغيير الشخصية الاعتبارية لتابعته ، والدة ايلي ميلكو : « هاهي هيافا زوجتي نقية من العبودية . وهي سيدة على بيت ولدها » . ويبدو أنه لم تكن هناك ضرورة لاي مراسيم أو طقوس خاصة لتحرير العبد أو الأمة . ففي حالتنا هذه يكفي أن يعلن السيد أن أمته هي أم لولده وهي زوجته التي أنجبت له هذا الولد وهي حرة من العبودية ويسجل هذا في وثيقة.

كان للمرأة في أوجاريت مكانة عالية سواءً على الصعيد السياسي أو الاقتصادي فعلى الصعيد السياسي كثيرا ما كانت أم الملك أو زوجته تشارك ابنها أو زوجها في اتخاذ القرارات الهامة . وعلى الصعيد الاقتصادي شاركت المرأة الاوجاريتية بفاعلية في الحياة الاقتصادية فكانت تمتلك حق التملك والبيع والشراء وما الى ذلك كما كانت تمتلك الحق في الارث سواءً من أبيها أو زوجها في حال عدم زواجها بعد وفاة زوجها . فوثيقة زواج راشابابو من بيدايا ، تنص على أنه اذا ما اتخذت بيدايا بعد موت راشابابو « زوجاً (آخر) لها ولم تدخله البيت فلن تخرج الى الشارع » . لكن « اذا أرادت بيدابا (أي أن تدخل زوجها الى البيت) أن تعزل الى الشارع وترمى »[18] . إذاً لا تكتسب بيدايا من ملكية البيت والحقل وغيرها من حصتها من أملاك زوجها الا إذا بقيت زوجة لراشابابو أو أرملة له . وهناك وثيقة تتضمن وصية شخص اسمه ياريمانو نرى من خلالها أنه يوصي بسائر أملاكه الى زوجته . مع حمايتها من أي ادعاء قد يقوم به أبناؤه بخصوص هذه الوصية .

الحياة الدينية :

عبد الأوجاريتيون مجموعة من الآلهة كان على رأسها الإله « إيل » أبو الآلهة

(١٨) شيفمان المرجع السابق ص ١٢٧ .

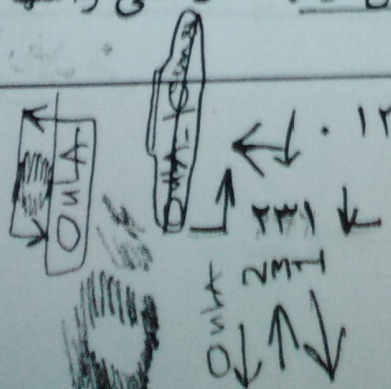

ورئيس مجمع الألهة الأوجاريتية . وهو يشبه « إيل » بلاد الرافدين . وكان مسكنه حسب ما يردفي الاساطير الأوجاريتية عند منبع النهر والينابيع حيث ينبثق المحيطان : الارضي والسماوي أي مركز الكون . وإيل هو خالق كل ما هو حي ويوصف بالثور وهذا ما يجعله على صلة بعمليات الاخصاب والتكاثر وأهم صفاته الحكمة والخير والتسامح وكانت زوجته الالهة عشيرة وكان له مجموعة من الابناء أهمهم بعل الذي عينه والده حاكماً على الآلهة وهو راكب الغيوم وإله العواصف والمطر وأسلحته الدبوس والفأس . وأما الابن الآخر المهم لإيل فهو « موت » الذي يدخل في صراع مع بعل مما يؤدي الى تعاقب فصول الخير والعطاء والجفاف . ومن الآلهة المهمة الاخرى في أوجاريت داجان والذي يوصف بأنه « أب بعل » ويبدو أنه كان ذا طبيعة زراعية فكلمة « دجن » في الكثير من لغات المشرق العربي القديم تعني « الحبوب » وبالتالي فهو « معطي الطعام » ومن الالهة المؤنثة هناك « عناة » وهي الشريكة الرئيسة لبعل ومساعدته على أعماله وهي في الوقت نفسه أخته وعشيقته وأما صفتها فهي « العذراء والبتول » والإله عشتروت إلهة الحب والخصب .

الحياة الثقافية :

لقد عثر بين أطلال أوجاريت على العديد من النصوص ذات الصفة الأسطورية وهذه تعكس تصورات الأوجاريتيين عن خلق الكون والحياة والموت والصراع بين الآلهة . ولعل أهم الاساطير الأوجاريتية : ملحمة البعل وعناة وهذه تمثل الصراع بين البعل والألهة المعارضة له خصوصاً يم وموت . وأسطورة كارت وهي تتحدث عن ملك صالح اسمه كارت ليس له ولد يرجو الالهة أن ترزقه بولد وبعد معاناة طويلة يرزق بولد ولكنه وبينما هو جالس على عرشه يدخل عليه هذا الولد طالباً منه التخلي عن العرش لأنه أصبح عجوزاً مريضاً لايستطيع الحكم بالعدل وأسطورة « أقهات أو دانيال أو أقهات بن دانيال » وهذه تمثل أيضاً تمثيلية هدفها إعادة الخصب والحياة الى الارض .

نهايـة اوجاريت :

جاءت نهاية أوجاريت مترافقة مع نهـاية ألالاخ وتونب وقادش وقبل ذلك الامبراطورية الحثية ، مطلع القرن الثاني عشر ق٠م نتيجة هجوم ماعرف في التاريخ باسم « هجوم شعوب البحر »٠ ويبدو أن هذه الشعوب كانت مجموعة من القبائل مختلفة الاصول من البلقان وجزر بحر إيجة وكانت على دراية باستخدام الحديـد كسلاح مما منحها تفوقاً على كل الخصوم الذين واجهتهم٠ ولم يتمكن من الوقوف في وجههم إلا المصريون الذين تمكنوا من ردهم عن بلادهم فارتدوا الى فلسـطين حيث أسسوا هناك مجموعة من دويلات المدن ٠

تاريخ حضارة قديم

القسم الثالث

الدكتورة

اكتمال اسماعيل

60

الفصل الثاني عشر
الحضارة المصرية القديمة
The Ancient Egyptian Civilization

لمحة تاريخية:

تعدّ الحضارة المصرية القديمة من أعرق الحضارات التي عرفتها البشرية وأكثرها أصالة لما تميزت به من إنجازات رائعة في مختلف مجالات الحياة، والتي تعود بجذورها إلى عصور ما قبل الكتابة حيث نشأ عدد من الثقافات التي سميت بأسماء المواقع التي اكتشفت فيها آثارها، كثقافة دير تاسا، وثقافة البدارى، وثقافة الفيوم، وثقافة مرمدة بني سلامة وغيرها.

وقد ظهرت هذه الثقافات بالتحديد في العصر الحجري الحديث الذي تميز بإنجازات حضارية حاسمة في تاريخ البشرية، كاكتشاف الزراعة (الألف السابع قبل الميلاد)، والانتقال إلى الاستقرار وبناء البيوت وتربية الحيوان، ومعرفة صناعة الفخار، ومعرفة المعادن، وصناعة الأنسجة، وغير ذلك من حرف ونشاطات كانت ضرورية لحياة الإنسان.

اكتشف آثاريون في أواخر القرن العشرين براهين على حدوث استقرار بشري قبل ٨٠٠٠ سنة ق.م في الزاوية الجنوبية الغربية من مصر بالقرب من الحدود مع السودان. وقد تبين أن جماعات من البدو استقرت هناك بسبب المناخ المناسب والبيئة الجيدة. حالياً المنطقة جافة، تنبت فيها أعشاب قليلة، وتشهد سقوط أمطار فصلية. أظهرت التحليلات العلمية لبقايا ثقافة هؤلاء البدو أنهم وجدوا قبل حوالي ٦٠٠٠ ق.م رعاة ماشية، وأقاموا أبنية ضخمة.

وعندما بدأ المناخ بالتغير بعد حوالي ألفي سنة، وأصبحت المنطقة الجنوبية الغربية أكثر جفافاً، من الممكن أنهم اختاروا الهجرة باتجاه الشرق إلى وادي النيل.

بدءاً من ٥٠٠٠ سنة ق.م، عندها بدأت المراكز الحضارية بالظهور في مصر العليا وفي مصر السفلى، في البداري ونقادة ومرمدة والفيوم وأبيدوس وغيرها.

حوالي ٣٥٠٠ ق.م أصبحت مستوطنة هيراكونبوليس Hieraconpolis (نخن القديمة) الواقعة على الضفة الغربية لنهر النيل بين الأقصر وأسوان، موقعاً مركزياً لثقافة عصر ما قبل السلالات، تلك الثقافة التي وجدت قبل زمن السلالات المصرية الأولى. وبسرعة تطورت هيراكونبوليس إلى مركز إداري واقتصادي وديني مهم. وأخذت طقوسها الدينية مكانتها في التركيبة التي يُنظر إليها حالياً على أنها شكلاً بدائياً للمعابد المصرية.

من المحتمل أن مركزاً كهيراكونبوليس بدأ بتوسيع نفوذه على المستوطنات الأخرى، وأن توحيد مصر القديمة كان في الحقيقة نمواً تدريجياً لنفوذ مركز واحد.

تشير الوثائق المكتوبة والشواهد الأثرية إلى وجود ممالك صغيرة متنافسة في عصر ما قبل الأسرات (٣٥٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م). قسّم مانيتون Manethon، الكاهن المصري الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد، تاريخ مصر إلى ثلاثين أسرة حاكمة، حالياً أدخل بعض دارسي تاريخ مصر القديم (Egyptotists) تعديلاً على هذا التقسيم بإضافة السلالة صفر في البداية، والتي دامت نحو ١٥٠ عاماً (٣١٠٠ - ٢٩٢٠ ق.م). خلال هذه الحقبة تحققت ولأول مرة وحدة شمالي وجنوبي مصر في مملكة واحدة على يد نعرمر أحد حكام الجنوب، والذي يظهر على لوح حجري وهو يحمل على رأسه تاجين، التاج الأبيض رمز مصر العليا، والتاج الأحمر رمز مصر السفلى.

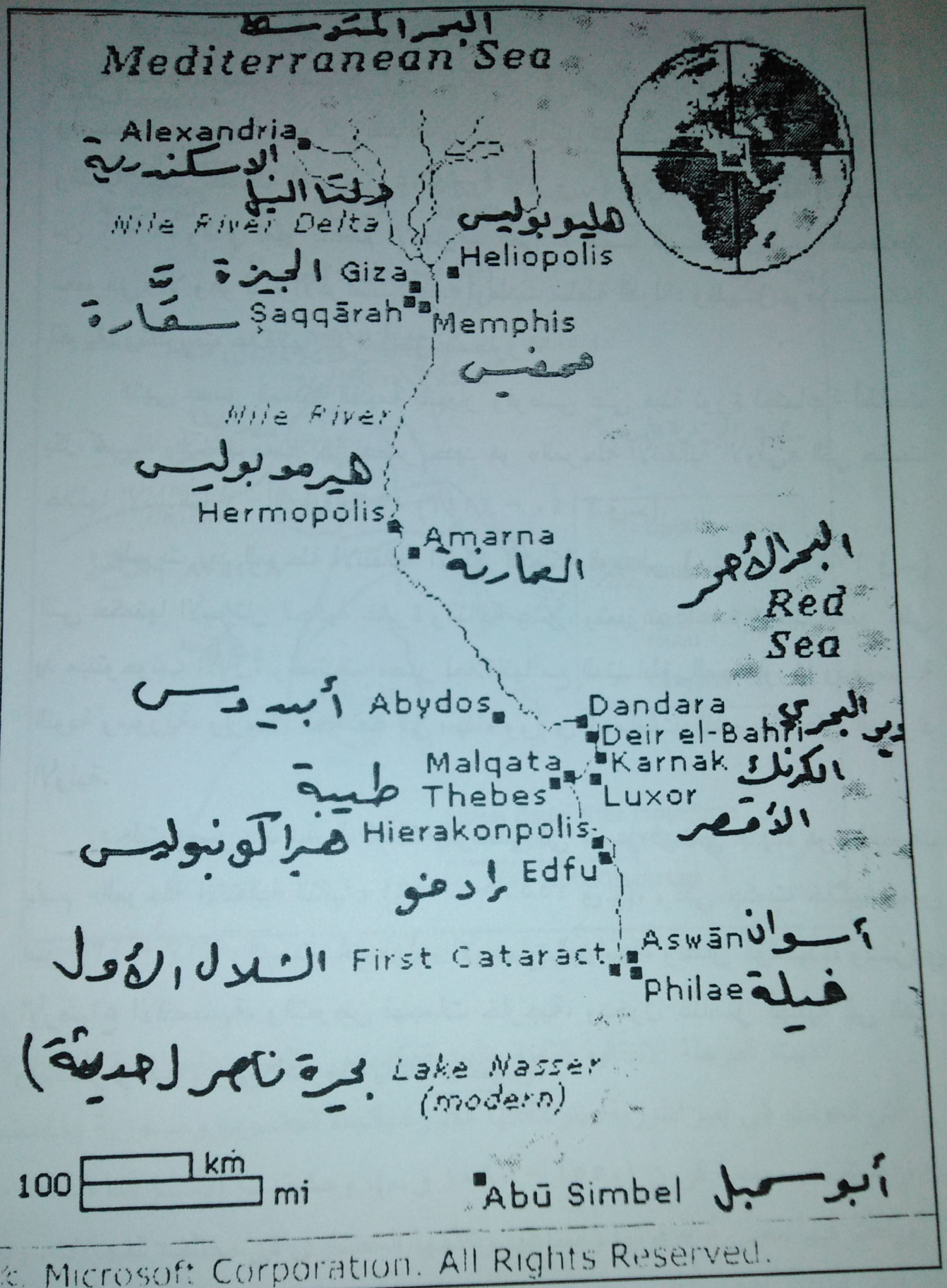

© Microsoft Corporation. All Rights Reserved.

المواقع الأثرية الرئيسة في مصر

في عصر الأسرتين الأولى والثانية (٢٩٢٠ - ٢٦٥٠ ق.م) استقرت مؤسسات الدولة الناشئة، وتطور المجتمع، وتحولت مصر إلى قوة معتبرة في العالم القديم، وأصبحت عاصمتها منف التي تقع أسفل رأس الدلتا. تلا عصر الأسرتين الأولى والثانية عصر المملكة القديمة (٢٦٥٠ - ٢١٣٤ ق.م) الذي حكمت خلاله الأسرات من ٣ - ٦، والذي تميز بأعظم الإنجازات التي عرفتها البشرية على الصعيد العمراني، ألا وهو بناء الأهرامات. وفيه توطدت سلطة الدولة، وظهرت مؤسساتها القوية، وتطورت علاقاتها مع المناطق المجاورة.

انتهى عصر المملكة القديمة بانهيار وفوضى على هيئة ثورة اجتماعية أطاحت بكل شيء، وأدخلت مصر في عصر جديد هو «المرحلة الانتقالية الأولى» التي حكمت خلالها الأسرات ٧ - إلى بداية ١١ (٢١٤٣ - ٢٠٤٠ ق.م).

ظهرت بعد المرحلة الانتقالية الأولى المملكة الوسطى (٢٠٤٠ - ١٧٨٦ ق.م) التي حكمتها الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشر. وتميزت بإعادة توحيد مصر على يد مينتوحوتب الأول، واستئناف مصر لعلاقاتها مع المناطق المجاورة، وبخاصة النوبة وسورية، وإرسال الحملات إلى سيناء ووادي الحمامات، للحصول على المواد الأولية.

دخلت مصر بعد سقوط المملكة الوسطى في عصر فوضى جديد، هو ما يعرف باسم «المرحلة الانتقالية الثانية» (١٧٨٦ - ١٥٥٠ ق.م)، والتي حكمت خلالها خمس أسر (١٣ - ١٧)، واتسمت باضطراب الأوضاع السياسية، وفقدان الوحدة، وتردي الأوضاع الاقتصادية، والتعرض لهجمات خارجية، ودخول عناصر أجنبية إلى الدلتا، والاستقرار فيها، وهي المعروفة باسم الهكسوس.

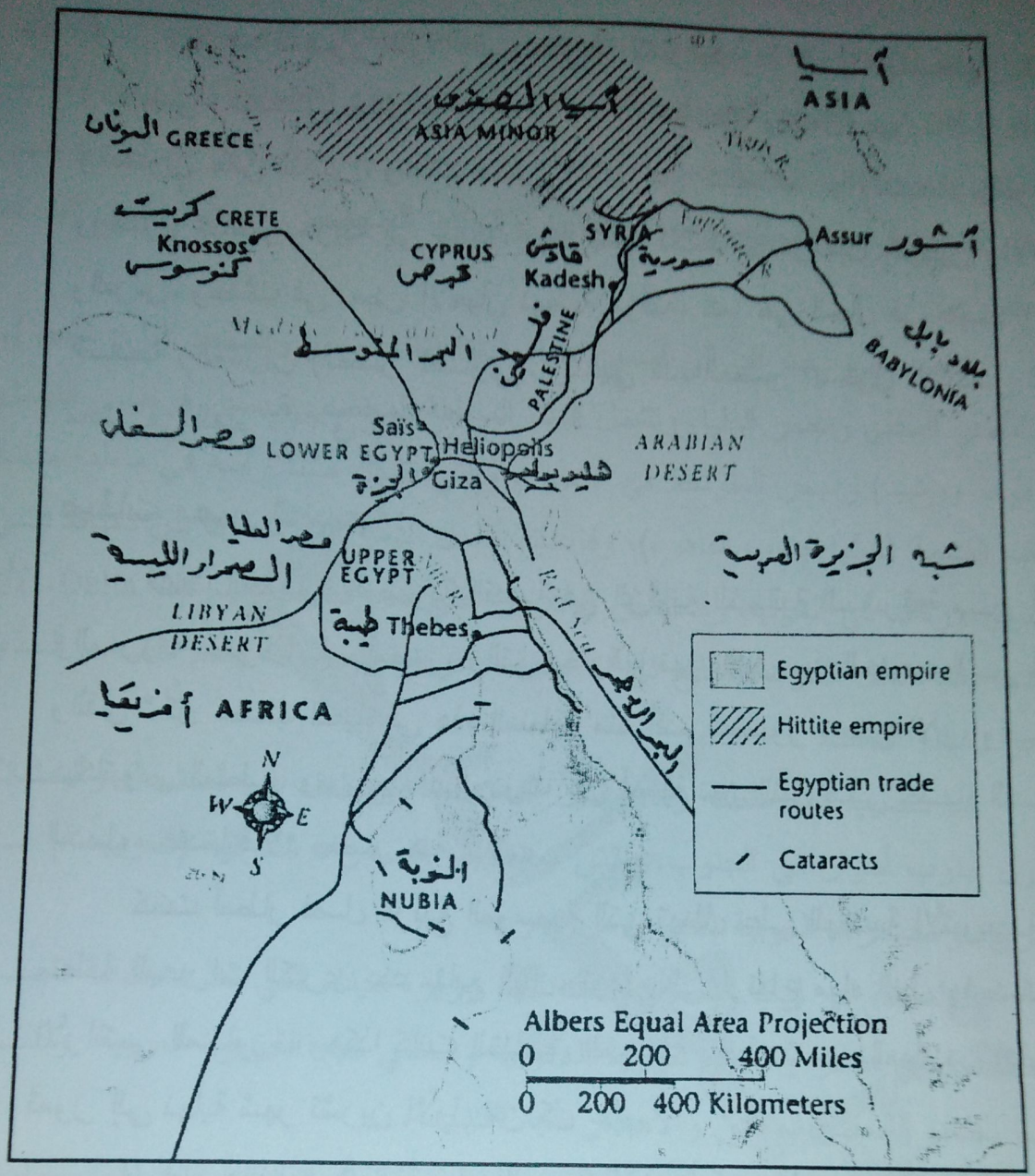

الإمبراطورية المصرية الحديثة نحو ١٤٥٠ ق.م

انتهت المرحلة الانتقالية الثانية بطرد الهكسوس وظهور «المملكة الحديثة»، التي تحولت إلى إمبراطورية، بتوسعاتها الكبيرة باتجاه الجنوب وسورية بخاصة، ودامت نحو خمسة قرون (١٥٥٠ - ١٠٨٠ ق.م)، وحكمتها الأسرات ١٨ - ٢٠، وبلغت فيها مصر أوج قوتها واتساعها وتقدمها الحضاري في مختلف المجالات. وبرز ملوك أفذاذ احتفظت ذاكرة الأجيال اللاحقة بأسمائهم كرمز من رموز مصر القديمة من أمثال حتشبسوت وتحوتموس الثالث وأخناتون ورعمسيس الثاني وغيرهم.

وتُعرف العصور التي أعقبت سقوط الإمبراطورية الحديثة بعصور التخبط والفوضى والتدخلات الخارجية (١٠٨٠ - ٣٣٢ ق.م)، وتشمل عهود الأسر الحادية والعشرين حتى الثلاثين. وعانت مصر خلالها من الضعف والانقسام والفوضى، ووصول عناصر غريبة إلى الحكم، وتعرضها للاحتلال من قبل النوبيين والآشوريين والفرس. وحدثت في بعض الأحيان نهضة مؤقتة، كما هي الحال في عهد الأسرة السادسة والعشرين (العصر الصاوي). وتنتهي هذه العصور بدخول الإسكندر المقدوني مصر في العام ٣٣٢ ق.م.

صفات مصر الطبيعية:

قامت الحضارة المصرية القديمة في الزاوية الشمالية الشرقية من أفريقية والمعروفة جغرافياً باسم مصر، والتي يخترقها نهر النيل من الجنوب إلى الشمال والذي شكّل عصب الحياة في هذه المنطقة منذ أقدم العصور وحتى الآن، وقد عبَّر هيكاتيوس الملطي، ومن بعده هيرودوت عن أهمية نهر النيل في حياة المصريين القدماء، عندما قالا: «مصر هبة النيل».

كانت أمطار فصل الربيع الموسمية التي تهطل على الهضبة الأثيوبية، وفي منطقة البحيرات الكبرى عند منابع النيل، تؤدي إلى ارتفاع مياه النيل وفيضانه على الأراضي المجاورة. وهكذا كانت المناطق المحيطة بالنيل تُغمر بالمياه من بداية شهر تموز إلى نهاية شهر تشرين الأول من كل عام.

إن اسم «النيل» هو اختصار للتسمية الإغريقية نايلوس Neilos التي تعني «النهر ذو اللون الطيني»، إشارة إلى لون مياهه وهي تحمل الطمي من منابعه الواقعة بعيداً في الجنوب.

أما المصريون القدماء فقد سموه «حابي»، أي «الفيض». وسمَّوا بلدهم «كيميت»، أي «الأرض السوداء» أو «الأرض السمراء»، إشارة إلى لون ترابها الداكن المائل إلى السواد، نتيجة لما يحمله نهر النيل من طمي معه، ويتركه يترسب على الأراضي المحيطة به وقت الفيضان. وأطلقوا على الصحراء اسم «دشرت» Deshret، أي: الأرض الحمراء التي تلمع تحت أشعة الشمس المحرقة.

أما الإغريق فقد سمّوا مصر «إيجبتوس Aigyptos»، والذي يُحتمل أن يكون محرفاً عن اسم «آجبة» المصري القديم الذي يعني «أرض الفيضان». وارتبط الاسم الشائع «مصر» في اللغة المصرية القديمة، وفي بعض لغات المشرق العربي القديم بمترادفات تدل على معاني «الحد والحاجز والمكان الحصين، فضلاً عن البلد المتمدن».

تنقسم مصر جغرافياً إلى قسمين هما: الدلتا (تا - محو) والصعيد (تا - شمعو)، أو مصر السفلى ومصر العليا. وتشمل الدلتا المنطقة المحصورة بين فرعي النيل (دمياط ورشيد) والبحر المتوسط في الشمال، والتي تشكل مثلثاً رأسه في منطقة مدينة منف القديمة (حالياً جنوب القاهرة)، وقاعدته ساحل البحر المتوسط ما بين دمياط في الشرق ورشيد في الغرب. وقد أطلق الإغريق على هذه المنطقة اسم دلتا Delta، لأن شكلها يشبه شكل الحرف السابع في الأبجدية الإغريقية المعروف باسم دلتا، والذي يتميز بشكله المثلث.

أما الصعيد فهو منطقة وادي النيل الممتدة ما بين منف في الشمال والشلال الأول جنوب أسوان في الجنوب، والتي تحيط بها الصحراء الشرقية (العربية) من الشرق، والصحراء الغربية (الليبية) من الغرب.

بالإضافة إلى الدلتا والصعيد هناك شبه جزيرة سيناء التي تعد منطقة فاصلة واصلة ما بين مصر ومناطق سورية الجنوبية وشمالي شبه الجزيرة العربية. وكانت أيضاً مصدراً لبعض المعادن والأحجار شبه الكريمة.

استفاد المصريون القدماء من الظروف الطبيعية السائدة، وبخاصة من مياه نهر النيل، في إقامة حضارة عظيمة مزدهرة، ما تزال شواهدها قائمة حتى الآن. ولكن لم يكن لهذه الحضارة أن تقوم لولا عبقرية وذكاء المصريين القدماء الذين سخروا كل شيء لصالحهم، فأقاموا مجتمعاً متقدماً، وأبدعوا في مختلف مجالات الحياة.

الحياة السياسية والإدارية:

كانت مصر في عصر ما قبل الأسر تتألف من مملكتين رئيسيتين هما: مملكة الشمال (الدلتا) ومملكة الجنوب (الصعيد). وكان لكل مملكة رمز خاص بها، فكان

التاج الأحمر رمز مملكة الدلتا، والتاج الأبيض رمز مملكة الصعيد. وعُبدت الإلهة وادجيت Wadjet في الشمال، بينما عُبدت الإلهة نخبت في الجنوب.

وعندما نجح نعرمر في تحقيق وحدة الدلتا والصعيد في دولة مركزية واحدة برئاسته، اكتسب صفة الألوهية، وتجسدت فيه الآلهة كافة، فاتحدت في شخصه روحا الإلاهتين وادجيت ونخبت، وهو حوروس (الصقر) إله السماء، وابن الإله رع إله الشمس. وهو ممثل الآلهة على الأرض يحكم باسمها، وهو بالتالي مسؤول عن كل شيء في حياة الناس. وهكذا نظر إليه الناس نظرة قدسية، وأحاطوه بكل مظاهر التبجيل والاحترام، وأصبح رمزاً لوحدة مصر وقوتها وازدهارها.

وربما كانت هناك أسباب سياسية وعسكرية ودينية واقتصادية وراء وصول الملك إلى مرتبة التأليه. فهو القائد العسكري الملهم الذي استطاع توحيد مصر في مملكة واحدة. وهو الوارث لعرش حوروس، الإله الملك الذي أورث عرشه لكل ملوك مصر. وهو الواسطة بين الآلهة والناس لتأمين الحياة الآمنة المستقرة في وادي النيل[1].

ومن هنا فإنه كان يحمل العديد من الألقاب الدالة على علاقته بالآلهة المختلفة كابن حوروس، وابن رع، وحوروس الذهبي وغيرها.

كما اتخذ العديد من الألقاب الدالة على قوته وتحقيقه الوحدة المصرية كـ: «موحد القطرين»، و«سيد الأرضين»، و«الثور البري».

غير أن اللقب الأشهر الذي عُرف به ملك مصر هو لقب «فرعون»، الذي حُمّل معنى سلبياً من قبل الشعوب المجاورة لمصر بعد سقوط الإمبراطورية المصرية الحديثة، ونهاية المرحلة القديمة من التاريخ المصري. فأصبح يدل على الاستبداد والظلم والتحكم بالشعب. غير أن أصله يعود إلى كلمة «بر - عو» المصرية القديمة التي تعني «البيت العالي» أو «القصر العظيم»، أي القصر الملكي الذي يقيم فيه الحاكم[2].

---

(١) أمين عبد الفتاح محمود عامر، الحضارة المصرية القديمة (١)، الرياض ٢٠٠٥، ص ١٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٧.

ونظراً لأن لفظ اسم الملك كان محرماً لما يحمل من صفات مقدسة، فقد صار يُشار إليه منذ عهد تحوتموس الثالث (١٤٦٨/٧٠ - ١٤٣٦/٣٩ ق.م) باسم المكان الذي يقيم فيه، أي بر - عو، الذي تحول فيما بعد بالعبرية والعربية إلى فرعون.

كانت سلطة الملك مطلقة، فهو المسؤول عن كل شيء في الدولة التي يديرها باسمه الوزير وحكام الولايات الذين يعينهم الملك من بين أقربائه وبطانته المقربة إليه، وتتناسب قوتهم مع قوة الملك. فإذا كان الملك قوياً، تنحصر مسؤولياتهم في تنفيذ أوامره وتوجيهاته. وإذا كان ضعيفاً يبرز هؤلاء وتتسع مناطق نفوذهم، وتزداد قوتهم، وربما يصلون إلى العرش، كما حدث في آخر أيام الأسرة الحادية عشرة عندما استلم العرش الوزير أمنمحات، وأسس الأسرة الثانية عشرة. كذلك كان الضباط الكبار يصلون أحياناً إلى السلطة، نتيجة عدم وجود وريث شرعي، كما حدث في أواخر أيام الأسرة الثامنة عشرة عندما ظهر القائد العسكري الكبير آي ومن بعده حورمحب، وشغلا العرش لفترة من الزمن. كذلك كان الحال مع رعمسيس الأول مؤسس الأسرة التاسعة عشرة.

- كانت مصر مقسمة إلى أقاليم (سبات)، اثنين وعشرين في الصعيد، وعشرين في الدلتا. وكان لكل إقليم عاصمته وإلهه ورمزه الخاص به، ويُحكم من قبل حاكم (عدج - مر = الإداري) يعينه الملك. وتنحصر مهماته في الحفاظ على الأمن والنظام، وتنظيم تجنيد الأفراد، والاهتمام بأمور الزراعة، وجباية الضرائب وغير ذلك من أمور ضرورية لحياة الشعب.

ويمكن القول إن حاكم الإقليم كان بمثابة ملك صغير في إقليمه، له قصره وجيشه وثرواته وحاشيته وسلطاته التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقوة الملك أو ضعفه. فعندما يكون الملك ضعيفاً، يكون الحاكم قوياً، والعكس صحيح.

وعلى الرغم من أن مبدأ وراثة الابن الأكبر لوالده كان هو السائد في تقاليد السلطة الملكية، إلا أن العديد من حالات الاغتصاب للعرش، حتى من داخل الأسرة الحاكمة ظهرت، كما هي الحال عندما اغتصبت حتشبسوت السلطة، واعتلت العرش الملكي، وأبعدت عنه تحوتموس الثالث. وكذلك كانت الحال مع تحوتموس الرابع، الذي لم يكن، على ما يبدو، الوريث الشرعي لوالده.

وكانت مثل هذه الحالات تُبرر دائماً بالرغبة الإلهية بذلك من خلال وضع أساطير دينية.

كانت مصر تُحكم بالإرادة الملكية المستمدة من الإرادة الإلهية. ولم يُعثر حتى الآن على أية قوانين أو تشريعات، كتشريعات حمورابي في بلاد الرافدين. ولكن هذا لا يعني عدم معرفة المصريين القدماء للقوانين والتشريعات، فحورمحب (١٣٣٤ - ١٣٠٩ ق.م) أصدر مجموعة من الإجراءات القانونية والإدارية لمنع استغلال السلطة من قبل الموظفين، ومحاربة الرشوة والفساد والظلم. ويصف المؤرخ الإغريقي ديودور الصقلي الأمير «باكن رنف»، الذي حكم في الدلتا في أيام الأسرة الخامسة والعشرين، وعرفه الإغريق باسم بوخوريس، «بأنه رابع المشرعين المصريين وأنه فاق كل من سبقوه من الملوك في حكمته».

وكان للملكات دور في الحياة السياسية والإدارية في مصر القديمة، وبعضهن اعتلى العرش وحكم وحده كالملكة خنتكاوس التي اعتلت العرش في آخر أيام الأسرة الرابعة، والملكة نيتوكريس Nitocris التي تولت الحكم في نهاية عصر الأسرة السادسة، والملكة سوبك نفرو Sobek-Nefru التي حكمت في آخر عهد الأسرة الثانية عشرة.

غير أن أشهر ملكات مصر القديمة التي حكمت لوحدها هي حتشبسوت Hatshepsut من الأسرة الثامنة عشرة، التي حكمت نحو اثنين وعشرين عاماً (١٤٩٠ - ١٤٦٨ ق.م). واشتُهرت بإرسال البعثات التجارية إلى مناطق بعيدة كبلاد البونت Punt (شرقي أفريقيا).

وهناك ملكات أخريات حققن شهرة، وإن لم يتبوأن العرش الملكي، كالملكة أحمس نفرتاري، زوجة أحمس الأول، والملكة «تي»، زوجة أمنحوتب الثالث، التي كانت من عامة الشعب، والملكة نفرتيتي زوجة أخناتون التي كان لها دور كبير في الإصلاح الديني الذي دعا إليه زوجها. وكل هؤلاء ظهرن في عصر الأسرة الثامنة عشرة.

وهناك ملكات أخريات ظهرن في العصور اللاحقة، وأدين دوراً مهماً في الحياة السياسية أو الإدارية أو العامة في مصر القديمة.